الفائدة الثالثة:

آداب استقبال شهر رمضان مع بيان بعض فضائل الشهر المبارك

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **أَمَّا بَعْدُ**:

كثير من الناس يتساهلون، ويتراسلون فيما يُستقبل به رمضان، وأحسن ما يُستقبل به رمضان العلم لمن كان جاهلًا بأحكام الصيام؛ فينبغي له أن يتعلم كيف يصوم كما صام رسول الله ﷺ، فإن أفضل الأعمال العمل الذي يكون خالصًا لله عَزَّوَجَلَّ، وعلى طريقة رسول الله ﷺ.

ومن جهل شيئًا عاداه. فكثير من الناس يتنكر للسنن التي في رمضان بسبب جهله، فيرى تأخير الفطور مع أن السنة التعجيل، ويرى تعجيل السحور مع أن السنة التأخير، وربما رأى عدم جواز السواك في نهار رمضان، أو بعد الظهر من رمضان.

فمن أراد أن يستقبل الشهر استقبالًا صحيحًا، فليتعلم كيف كان يصوم النبي ﷺ.

الأمر الثاني: التوبة، والاستغفار، فإن الذي يثقل الإنسان عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ويفتره الذنوب والمعاصي، فإنها ثقيلة على القلب، والبدن، ويعجز الصحيح عن كثير من العمل الصالح، فلا أفضل من التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والاستغفار قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:٣١].

وقَالَ تَعَالَى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: ٨٢].

فالفلاح بالتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فلنستغفر من ذنوبنا، ولنتحلل من مظالمنا، ونرجع إلى ربنا فإنه هو التَّواب؛ فإذا فعلنا ذلك انشرح الصدر، وتيسرت العبادة، وقوي البدن، قَالَ تَعَالَى: {وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} [هود:٥٢].

ويضاف إلى ذلك الاستعانة بذكر الله. والإكثار من ذكر الله، قَالَ تَعَالَى: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} [العنكبوت:٤٥]. وَقَالَ تَعَالَى: {وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود:٥٢].

فكلما ذكر العبد ربه اطمئن قلبه، وازداد إيمانه، وعلت درجته، وحصل له الخير العظيم، وذكره الله فيمن عنده.

جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»(١).

قد يقول قائل: نحن نرى أنَّ كثيرًا من الشرور تقع في رمضان، إذن الشياطين موجودة تفرق بين النَّاس، وتحرش بينهم كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»(٢).

فكان الجواب: أنَّ التي تُصفد هي مردة الجن، والحديث على ظاهرة، ويبقى مما

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٢) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يؤُز على المعاصي، النفس الأمارة بالسوء، والقرين، وعوام الشياطين، وشياطين الإنس، فلذلك تجد كثيرًا من الشرور في رمضان. نسأل الله السلامة والعافية.

لكن الواقع أن الخير يكثر في رمضان، ويقبل الناس على العبادة، حتى تارك الصلاة تراه يهرع إلى المسجد للصلاة، والمضيع لكثير من الحقوق تراه يبادر إلى أداء الحقوق، ويجد الإنسان انشراح في الصدر، وطمانينة في القلب، وتلذذ بالعبادة. فهو شهر مبارك.

❀ ❀ ❀

والوصية لنفسي أولا، ثم لكم باغتنام هذا الشهر بقراءة القرآن، والتوبة، والاستغفار، والإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، والإكثار من أوجه الخير من بذل، أو نفقة، أو غير ذلك.

فإن هذا شهرٌ عظيمٌ، وشهرٌ مباركٌ، وشهرٌ كريمٌ، اختصه الله عَزَّوَجَلَّ بإنزال الكتاب، واختصه الله عَزَّوَجَلَّ بفرض الصيام فيه، واختصه الله عَزَّوَجَلَّ بالعشر الآواخر منه التي هي أفضل ليالي العام، واختصه الله عَزَّوَجَلَّ بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، قَالَ تَعَالَى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} [القصص:٦٨].

وأنصح كل مسلم أن لا يفرط في قيام ليلة من لياليه، لقول النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، متفق عليه[١].

ولو أن يصلي ركعة، وأكمله إحدى عشر ركعة، وأكمله أن يقوم في الثلث الأخير من الليل، وأكمله أن يكثر من قراءة القرآن فيه.

إلا إذا صلى التراويح فإن وقتها المختار بعد صلاة العشاء مباشرة.

---

(١) البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأنصح كل مسلم أن لا يفوته قيام العشر الآواخر من رمضان؛ فإنها عشر قليلات معدودات، وإن أعان الله على صيامها، وقيامها، وتقبلها، صار صاحبها من السعداء عند الله عَزَّوَجَلَّ.

وأنصح كل مسلم بصيام هذا الشهر كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ، وكما قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» متفق عليه(١).

والإكثار من الدعاء بالثبات على دين الله، والتمسك بسنة رسول الله ﷺ، والإكثار من الدعاء في إصلاح الراعي، والرعية، والإكثار من الدعاء بأن يدمر الله عَزَّوَجَلَّ على الكافرين، وأن يلعنهم، ويبعدهم، ويكفي المسلمين شرهم، وهي أيام معدودات يمضي الشهر من حيث لا نشعر.

أخرج الإمام الترمذي في «جامعه»(٢)، وجاء عند غيره، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**».

هذا الحديث عباد الله فيه بيان من رسول الله ﷺ لعظم هذا الشهر،

---

(١) البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) برقم (٦٨٢).

ومنزلته بين المسلمين، كما أنه عظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ إذا أنه يصفد الشياطين: وهم مردة الجن، وقيل: يصفد العتاه منهم وليس كل الشياطين، وقيل: بأنه يصفدهم ويبقى الشيطان الأكبر؛ لأن الله قد وعده بالنُظْرَةِ إلى يوم الدين.

والذي نهتم به أن الله عَزَّوَجَلَّ يُصفدُ الشياطين، ونرى ذلك في أنفسنا، فتسهل عندنا العبادات، ويسهل عندنا الطاعات، ويحب المسلم القربات.

انظر إلى نفسك يا عبد الله، ربما قبل أيام ما تستطيع أن تدخل المسجد، ربما تكون مشغولًا بدنيا، أو كسل عن طاعة، وهذه الأيام سبحان الله يجد الإنسان من نفسه نشاطًا، وقوةً، وراحةً، وطمأنينةً.

ثم إن الصلاة أخف من الصيام في شأن المشقة، ومع ذلك تجد كثير من الناس يضعفون عنها، ويُفرطون فيها؛ بسبب تسلط الشياطين عليهم، فإذا جاء رمضان صاموا، وصلوا، وقاموا، وبادروا إلى الطاعات، وهذا يدل دلالةً واضحةً أن الشياطين تصفد، ولم يبقَ إلا من كانت نفسه خبيثة من الداخل لا يستجيب.

وإلا إذا صُفدت الشياطين أقبل المسلمون على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ رجالًا، ونساءً، وصغارًا، وكبارًا.

حتى أننا نرى صغار السنِّ يصومون، وفي الأيام العادية تقول له: ياولد صلِ يشرد منك هنا، ويشرد منك هنا.

وفي هذه الأيام تقول له: يا ابني أخشى عليك من الجوع، قال: لا أنا سأصوم. يا ابني أرقد قال: لا أنا سأسهر وأصلي معكم؛ لأن الشياطين التي تثبط الإنسان عن الطاعة مقيدة بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

وفيه أيضًا أن أبواب النار تغلق، سبحان الله! بركة عظيمة تغلق أبواب

النار، وطرق النار، ومداخل النار على المسلمين، فعند ذلك يجد المسلمون طريق الجنة مفتوح فيسلكونه، وتفتح أبواب الجنة فلا يبقى منها بابًا مغلقًا. كما أنَّ أبواب النار لا يبقى منها بابا مفتوحا.

فالبدار البدار، ولهذا قال النبي ﷺ في نفس الحديث بعد أن ذكر تصفيد الشياطين، وأغلاق أبواب النار، وتفتيح أبواب الجنة، فينادي منادي الله أعلم ملك من ملائكة الله، أو كما أراد الله: «**يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ**»، أي: يامريد الخير أقبل على الطاعة، وأقبل على ما يحب الله عَزَّوَجَلَّ، أقرأ القرآن، أعمل بالسنة، حافظ على الصلوات، استغل الفرصة قوي نفسك في هذه الأيام إذا انتهى رمضان وجاءت الشياطين تجد أنك قويًا لا تستطيع التأثير عليك، تفتح أبواب النار تجد أنك قويًا بعون الله لا تريد أن تسلك سبيلها.

نعم «**يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ**»؛ يا مريد الخير لنفسك، ولزوجك، ولابنك. يا مريد الخير في الدنيا، والآخرة أقبل على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

«**وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**»؛ يا من أنت تريد الشر وترغب فيه قَصِّر على نفسك، وابتعد عن هذا الفعل القبيح الذي سيفسد عليك الدنيا والآخرة، نسأل الله السلامة.

انظروا إلى هذا الترغيب، من الله الغني الحميد، الله الذي لو اجتمع من في السموات والأرض على الكفر ما ضروه، ولو اجتمع من في السموات والأرض على الطاعة ما زادوه، وهو الغني الحميد.

كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى**

قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

الله غنيٌّ حميدٌ، ومع ذلك يقول لك: «يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ»، من أجل نفسك لا من أجله؛ فاشترِ نفسك من الله. «وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ»، من أجل نفسك.

«وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ» أيها المسلم، نحن نعرف أن لله عتقاء، ونؤمن بذلك كإيماننا بأن دون اليوم أمس؛ لأن خبر النبي ﷺ صدق، ووعده حق، لكن هل علمنا أن الله قد أعتقنا؟ ما علمنا بذلك.

إذًا لماذا لا نبادر إلى الطاعة، والقربه حتى نكون من العتقاء.

انظر كم يفرح العبد إذا أعتقه سيده وهو في أمر دنيا، فكيف إذا علمنا أنَّ الله أعتقنا من النار، وأنَّ الله وعدنا الجنة كيف ستكون السعادة، والطمأنينة والراحة؟.

فيا أيها المسلم بادر وشمر إلى الله، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة:٢٨١]، تُوفَّى كل نفس ما كسبت من خير وتوفاه مضاعف، ومن شر توفاه بغير ظلم.

قيل أن هذه الآية أخوف آية في القرآن: {وَاتَّقُوا يَوْمًا} اتقو أيها الناس جميعًا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يومًا: يوم القيامة.

{تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} رجالًا، ونساءً وصغارًا، وكبارًا، وَحُفَاةً، وَعُرَاةً، وَغُرْلًا، وَبُهْمًا.

بُهْمًا: ليس معك شيء.

عُرَاةً: ليس عليك ثياب.

غُرْلاً: كما خرجت من بطن أمك ما قد ختنت.

قَالَ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ}: رجوع الأرواح، والابدان حقيقة.

وقَالَ تَعَالَى: {ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ}: أي تجازى على عملك من خير أو شر.

وقَالَ تَعَالَى: {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}: لأن الله عَزَّوَجَلَّ ليس بظلام للعبيد. قَالَ تَعَالَى: {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩].

والحمد لله